غداً... نقرع ابواب الجنة

للأستاذ محمود محمد عماره
المدرس بمعهد دسوق الدينى

ذات يوم .. أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام عائشة فقال :
داومى قرع باب الجنة
– بماذا يا رسول الله ؟
– بالجوع !
وها نحن أولاء نأخذ الأهبة .. لنقرع أبواب الجنان !
فمع شروق الغد القريب .. سيبزغ هلال رمضان .. ربيع الارواح .. وبراقها الى عالم الحب والنور .

ومن فوق هذا الكوكب الارضى .. نرصد هلاله فى أفقه العالى .. وعلى هداه سنبدأ مرحلة جديدة وسعيدة .. هى بالنسبة لنا نحن المسلمين عيد .. أى عيد .

عيد .. لا نجدد فيه ملابسنا وأحذيتنا .. وانما نطهر فيه عقولنا من الشك .. وقلوبنا من الحقد .. وأنفسنا من ضلال الهوى .

وسنلتقى جميعا فى سوق كبير وجليل .. رأس مالنا الاخلاص .. وعملتنا فيه التسامح .. ونتعامل فيه مع رب كريم ..

سوق لا تتعاوى فيه الغرائز .. أو تتناوح الاطماع .. ولكنها الروح تشدو بأغنية السلام .. فاذا الحياة جنة مديدة الظل دانية القطوف .

وميلاد القمر يذكرنا بميلاد الانسان .. فالقمر يبدو خيطا رقيقا دقيقا .. ثم يتدرج فى مراحل النمو هلالا .. فبدرا .. فمحاقا . وتلك خلاصة عمر الانسان فى هذه الحياة :

« الله الذى خلقكم من ضعف .. ثم جعل من بعد ضعف قوة .. ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة »

غير أن القمر يبلغ مرحلة المشيب ..
ثم يستأنف الرحلة من جديد ..
أما أنا .. وأنت .. والآخرون .. فعندما تنسخ آية المشيب رونق الشباب .. سنمضى الى هناك .. الى حيث لا يعود الذاهبون !!
والقمر رمز الحب :
فالناس من تحته صرعى الحقد .. يتدافعون بالمناكب . ويتنابزون

بالالقاب .. وهو من فوقهم جميعا يعيش فوق مستوى هذه الاحقاد .

والقمر رمز التواضع :

فهو يغمر بأشعته الرفافة جوانب الارض بما فيها من وهاد ونجاد .. وبحار وأشجار .. ويصيب بها الوزير والحفير .. الغنى والفقير .. فهو معهم جميعا بأشعته .. ولكن المدى بينهم شاسع واسع .. انه متواضع لكن عن رفعه !

وهو أيضا آية الكرم والايثار :

انه يبذل من ذاته فتضىء الحياة .. وينبع الزرع .. ثم لا يسألنا على ذلك جزاء ولا شكورا .

وهكذا نراه فى صمته المطبق يعلمنا خلال الحب والتواضع والايثار .

وتلك هى الصفات التى جاء رمضان ليغرسها فى قلوبنا ..

أليس رمضان ثورة على النفس لابادة رذائلها الاصيلة التى هى كما يقول حاتم الأصم : الكبر والشح والحسد ؟

نعم جاء ليغرس التواضع مكان الكبر .. والايثار بدل الشح .. والحب فى موضع الحسد ..

فعندما يصوم الغنى المتعالى سيمسك عن الطعام .. ويتناول الفطور .. مع الفقير فى لحظة واحدة ..

والساعات التى يقضيها طاويا .. لا دخل له فى تحويرها أو تغييرها .. وفى ظل هذا الاحساس تضيق المسافة بينهما .. ومن شأن هذا أن يهدهد كبرياء الغنى وترفعه .. ويعامل الفقير بدافع من التقدير والاحترام .. وهذا هو التواضع .

والشارع الحكيم طلب منا أن نمسك عن الطعام .. ولكنه أمرنا فى نفس الوقت أن نبذل حق السائل والمحروم .. حتى كان الرسول أجود من الريح المرسلة فى رمضان .. وهذا هو الكرم ..

واذا ما تصدق القادرون على الفقراء .. ستنعطف قلوبهم اليهم .. واذا مشاعر الحب والولاء تفيض بها الصدور . وسيبادلهم الاغنياء نفس العواطف . فيعيش الجميع فى جو من الهناء والصفاء .. وهذا هو الحب .. ومع تلك الفضائل .. ومن قبلها نتعلم الصبر .. انه العصارة الحية .. التى تسرى فى كيانها فتغدو مورقة ناضرة ! ومعنى ذلك :

أن الصوم سيرخى الحبال التى تربطنا بالنفس الامارة بالسوء .. ويفسح الطريق للحب يتمكن فى القلب .. ليصبح قوة دافعة .. تسوقنا الى أعلى .. بعيدا عن جاذبية النفس ..

تماما كالقوة التى تدفع الاقمار الصناعية حتى تخرج من نطاق جاذبية الارض !! ومتى ابتعدنا عن جاذبية النفس .. اقتربنا فى نفس الوقت من الحقيقة العليا ..

واذا نحن فى ظلال الحب نسبح فى ملكوت الله سبحا طويلا .. نستشعر من اللذات ما لو أحسها الملوك .. لقاتلونا عليها بالسيوف !!

وبالحب تتفتح عيون الروح .. التى فقأتها لذات الجسد .. وتصبح تلك العين كالمرآة المجلوة .. تنعكس عليها حقائق الاشياء .. فى غير زيف أو ضلال .. بعيدا عن مقدمات العلماء ونظرياتهم وأخطائهم ..

فنحن بالذوق والشعور .. نصل الى آماد فساح .. لا يصلون اليها بعقولهم أبدا .. لان القلب المتفتح البصير .. الذى تجرد من عرض الحياة .. كالوعاء النظيف يوضع فوق نخلة فرعاء .. انه لا يخطىء .. فهو لا يتلقى الا طهور السماء !! والامام الشافعى رضى الله عنه يبصر شجرة التوت مرة .. فيتفجر قلبه بمعان جليلة :

ان النجار يقف أمامها .. فيتخيل بابا فخما .. أو محراثا قويا !

أما امامنا فيقول :

هذا ورق التوت .. لونه واحد .. وطعمه واحد .. يأكله الدود فيخرج منه الحرير ..

ويأكله النحل فيخرج منه العسل ..

ويأكل منه الشاة أو البقر فتلقيه بعرا أو روثا ..

وتأكله الظباء فيخرج منه المسك ..

وهو شىء واحد .. **(فتبارك الله أحسن الخالقين)**

وفرق هائل بين رجل يستضىء بنور الشمس .. وآخر يستضىء بأنوار القلب !

واذا .. فلنقبل على رمضان فى شوق ويقين .. ومن بحره الكبير نغترف رشفات الحب .. وهو خير علاج لادواء البشرية الضارية الجذور .

وهل كان رمضان بدعا عندما يدعونا أن نحب ؟!!

ان الطبيعة من حولنا تغنى .. وتتعانق .. الزهر يقبل بعضه بعضا .. والجبال تعانق السحب .. والماء يحتضن بعضه البعض .. ونور الشمس يضم الارض ويقبلها .. ولسنا أقل من جماد .. أبى أن يحمل الامانة .. وحملها الانسان فى عناد واصرار !

ان الناس يذهبون الى الصيدليات كل يوم .. لشراء أدوية تبرأ أسقامهم .. وما دروا أن سبب الامراض هو الحسد الكامن فى قلوبهم .. وأن دواءه الوحيد .. أن يتعلموا صناعة الحب .. وفى حرارته تذوب الاوجاع !..

وما أصدق قول ابن العربى :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة وصحف قرآن
أدين بدين الحب انى توجهت ... كتائبه .. فالحب دينى وايمانى

محمود محمد عمارة
المدرس بمعهد دسوق الدينى